□ علوّ الهمَّة في تحرِّي الحقِّ والثَّبات عليه □

طلب الحق أحلى في النفوس الأبيَّة من الشمس في رائعة النهار ، وقطب تدور عليه همم الأخيار ، وعبابٌ تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار ، ومتى علتِ الهمَّة في طلب الحق ، حملتْ على مفارقة العوائد وطلب الأوابد ، « فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلَّما يعرفه إلَّا واحد ، وإذا عظُم المطلوب قل المساعد ، فإن البدع قد كثُرت ، وكثرت الدُّعاة إليها ، والتعويل عليها ، وطالب الحق - اليوم - شبيهٌ بطُلَّابه في أيام الفَتْرة ، وهم سلمان الفارسي وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهما ، رحمهما الله تعالى ، فإنهم قدوة للطالب الحق ، وفيهم له أعظم أُسوة ، فإنهم لمَّا حرصوا على الحق ، وبذلوا الجهد في طلبه ، بلغهم الله إليه ، وأوقفهم عليه ، وفازوا من بين العوالم الجمَّة ، فكم أدرك الحقَّ طالبُهُ في زمن الفترة ! وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النُّبُوَّة ! فاعتبرْ بذلك ، واقْتَدِ بأولئك ، فإن الحق ما زال مصونًا عزيزًا ، نفيسًا كريمًا ، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه ، وعدم التشوُّف والتشوّق إلى سببه ، ولا يهجم على المُبطلين المُعرضين ، ولا يُفاجيء أشباه الأنعام الغافلين ، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مُبطل ولا جاهل ، ولا بطَّال ولا غافل »(١) .

زيد بن عمرو بن نفيل الذي يُبعَث أُمَّة وحده ، أنموذج جليل لتحرِّي الحق :

قال الذهبي : « كان زيد بن عمرو ممن فرّ إلى الله من عبادة الأصنام ، وساح في أرض الشام يتطلب الدين القيِّم ، فرأى النصارى واليهود فكَرِه

---

(١) إيثار الحق على الخلق . للسيد مرتضى اليماني صـ ٢٤. مطبعة الآداب والمؤيد .

دينهم وقال : اللهم إني على دين إبراهيم . ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي ، ولا رأى من يُوقفه عليها . وهو من أهل النجاة ، فقد شهد له النبي ﷺ بأنه يُبعث أُمّةً وحده ، وهو ابن عم الإمام عمر ابن الخطاب ، رأى النبيَّ ﷺ ، ولم يعش حتى بُعث ، فنقل يُونس بن بكير ، وهو من أوعية العلم بالسير ، عن محمد بن إسحاق قال : قد كان نفر من قريش : زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحارث بن أسد ، وعُبيد الله بن جحش ، وأُميمة ابنة عبد المطلب حضروا قريشًا عند وثنٍ لهم، كانوا يذبحون عنده لعيدٍ من أعيادهم، فلمَّا اجتمعوا، خلا أولئك النفر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : تصادقوا وتكاتموا . فقال قائلهم: تعلمنَّ والله، ما قومكم على شيءٍ، لقد أخطئوا دين إبراهيم وخالفوه، فما وثن يُعبد ولا يضرّ ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم . قال : فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض ، يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والملل كلّها يتطلّبون الحنيفية ، فأمَّا ورقة فتنصَّر ، واستحكم في النصرانية ، وحصّل الكتب ، وعلم علمًا كثيرًا ، ولم يكن فيهم أعْدَل شأنًا من زيد ، اعتزل الأوثان والملل إلَّا دين إبراهيم ، يوحِّد الله تعالى ، ولا يأكل من ذبائح قومه ، وكان الخطاب عمه قد آذاه ، فنزح عنه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء، فوكَّل به الخطاب شبابًا سفهاء لا يَدَعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلَّا سرًّا ، وكان الخطاب أخاه أيضًا من أُمّه ، فكان يلومه على فراق دينه ، فسار زيد إلى الشام والجزيرة والموصل يسأل عن الدين »[(١)] .

قال ابن عمر : إن زيد بن عمرو بن نُفيل خرج إلى الشام ، يسأل عن الدين ويتَّبعه ، فلقي عالمًا من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم، فأخبرني. فقال: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ١٢٦ - ١٢٧ .

من غضب الله . قال زيد : وما أفرّ إلَّا من غضب الله تعالى ، ولا أحمل من غضب الله شيئًا ، ولا أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلَّا أن تكون حنيفًا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم عليه السلام ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد ، فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . فقال زيد : وما أفرّ إلَّا من لعنة الله ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفًا. قال: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يعبد إلا الله . فلمَّا رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلمَّا برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . قال الليث : كتب إليَّ هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مُسنِدًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري . وكان يُحيي الموءُودة ، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها . فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئتَ دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتُك مؤنتها . انتهى ما ذكره البخاري .

وقد قال النبي ﷺ قبل البعثة لزيد لمَّا رآه : « ما لي أرى قومك قد شَنفوا لك ؟ » أي أبغضوك . قال : أما والله إن ذلك مني لغير نائلةٍ كانت مني إليهم ، ولكني أراهم على ضلالةٍ ، فخرجتُ أبتغي الدين ، حتى قدمت على أحبار أيلة ، فوجدتهم يعبدون الله ويُشركون به ، فدُلِلتُ على شيخٍ بالجزيرة ، فقدمت عليه ، فأخبرتُه ، فقال : إن كلَّ من رأيت في ضلالةٍ ، إنك لتسأل عن دينٍ هو دين الله وملائكته ، وقد خرج في أرضك نبيٌّ ، أو هو خارجٌ ، ارجع إليه واتَّبعه . فرجعتُ ، فلم أُحسّ شيئًا .

ومات زيد قبل المبعث، فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أُمَّةً وحده»[(١)].

ولمَّا علم بخبر رسول الله ﷺ أقبل يريده ، فقتلَه أهلُ ميفعة بالشام.

وقال ابن إسحاق : قُتل ببلاد لخم .

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٢٤ : « مات بأرض البلقاء من الشام ، لمَّا عدا عليه قومٌ من بني لخم ، فقتلوه بمكان يقال له:ميفعة . والله أعلم » .

عن جابر قال : سُئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نُفيل ، أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول : إلهي إلهُ إبراهيم ، وديني دينُ إبراهيم . ويسجد ، فقال رسول الله ﷺ : « يُحشر ذاك وَحْدَهُ بيني وبين عيسى بن مريم »[(٢)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين »[(٣)] .

أورد له ابن إسحاق من شعره في خلق السماء والأرض والشمس والقمر :

إلى الله أُهدي مِدْحَتِي وثنائيَا   وقولًا رَضِيًّا لا يَنِي الدَّهْرَ باقيا
إلى الملِك الأعلى الذي ليس فوقَهُ   إلهٌ ولا ربٌّ يكـون مُـدانِيـا

---

(١) إسناده حسن : ذكره الحافظ في « المطالب العالية » ونسبه إلى أبي يعلى . وذكره الهيثمي في المجمع ونسبه إلى أبي يعلى والبزار والطبراني ، وقال : أحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث .

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٢٤ : إسناده جيد حسن .

(٣) إسناده جيد ، ذكره ابن الباغندة ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٢٢٤ : إسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب .

ألا أيّها الإنسان إيّاك والرَّدَى فإنّك لا تُخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيرَهُ فإن سبيل الرُّشدِ أصبح بادِيا
حنانَيْكَ إن الجنَّ كانت رجاءهم وأنت إلهي ربُّنا ورجائيا
رضيتُ بك اللَّهمَّ ربًّا فلن أُرَى أدِينُ إلهًا غيرك الله ثانيا
وأنت الذي منْ فضل مَنٍّ ورحمةٍ بعثتَ إلى موسى رسولًا مُنادِيا
فقُلْتَ له يا اذهبْ وهَارونَ فادْعُوَا إلى الله فرعونَ الذي كان طاغيا
وقولا له آأنت سوَّيْتَ هذهِ بلا وَتِدٍ حتى اطمأنَّتْ كما هِيا
وقولا له آأنت رفَّعتَ هذهِ بلا عمدٍ أرْفِقْ إذَنْ بك بانِيا
وقولا له آأنت سوّيتَ وَسْطها منيرًا إذا ما جنَّهُ الله هاديَا
وقولا له مَنْ يرسلُ الشمس غُدْوَةً فيُصبحَ مَا مسَّتْ من الأرض ضاحِيا
وقولا له مَنْ يُنبتُ الحبَّ في الثَّرى فيُصبحَ منه البَقْلُ يهتزُّ رَابيا
ويُخرج منه حبَّهُ في رؤوسهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نَجَّيْتَ يُونُسًا وقد بات في أضعافِ حوتٍ لياليا
وإنِي لو سبَّحتُ باسمك ربَّنا لَأُكثرُ إلّا ما غفرتَ خطائيا
فَرَبَّ العبادِ ألْقِ سَيْبًا ورحمةً عليَّ وبارِك في بَنِيَّ وماليا(١)

وقال رحمه الله :

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له الأرضُ تحمل صَخْرًا ثِقالًا
دحاها فلمَّا استوتْ شدَّها سواءً وأرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له المُزْنُ تحملُ عَذْبًا زُلالا
إذا هي سِيقتْ إلى بَلْدَةٍ أطاعتْ فصبَّتْ عليها سِجالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له الرِّيحُ تُصرفُ حالًا فحالًا

---

(١) البداية والنهاية ١ / ٣٢ - ٣٣ .

وقال رحمه الله :

أربٌّ واحدٌ أم ألفُ ربٍّ أَدِينُ إذا تقسَّمَتِ الأمورُ
عزلتُ اللَّاتَ والعُزَّى جميعًا كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ
عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عني كذلك يفعل الجَلْدُ الصبورُ
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتَيْها ولا صنمَيْ بني طَسْمٍ أدِيرُ(١)
ولا غَنْمًا أدينُ ....(٢) لنا في الدَّهر إذْ حِلْمِي يسيرُ
عجِبْتُ وفي الليالي مُعْجَبَاتٌ وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن الله قد أفْنَى رجالًا كثيرًا كان شأنُهُمُ الفجورُ
وأبْقَى آخرين ببرِّ قومٍ فَيَرْبُل(٣) منهم الطِّفْلُ الصغيرُ
وبَيْنَا المرءُ يعثُرُ ثابَ يومًا كما يتروَّحُ الغُصْنُ النَّضِيرُ
ولكنْ أعبدُ الرحمن ربي ليغفرَ ذنبيَ الرَّبُّ الغفورُ
فتَقْوَى الله ربِّكُمُ احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
تَرَى الأبرارَ دارُهمُ جِنانٌ وللكُفَّار حاميةٌ سعيرُ
وخِزْيٌ في الحياة وإنْ يموتوا يُلاقوا ما تضيق به الصدورُ

فرضي الله عن الرجل ، بل الرجال ، بل الأُمَّة زيد بن عمرو ، الذي قال فيه ورقةُ :

رَشدتَ وأنْعَمْتَ ابن عمرو وإنَّما تجنَّبتَ تَنُّورًا من النارِ حامِيَا
لدِينِكَ ربًّا ليس ربٌّ كمِثْلِهِ وتَرْكِكَ جِنَّانَ الجبال كما هِيَا

---

(١) وعند ابن إسحاق :

فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتيْها ولا صَنَمَيْ بني عمرو أزُورُ

(٢) عند البغوي :

.... وكان رَبًّا .... إذ حلمي صغيرُ

(٣) أي يربو . وهي عند البغوي : فيربو .

سلمان ابن الإسلام سابِقُ الفرس ، المنارة الشامخة لطَلَب الحق :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : عليٍّ ، وعمّار ، وسلمان »[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كان الإيمان عند الثُّريَّا ، لتناوَلَهُ رجالٌ من فارس »[٢] .

وعند مسلم من رواية أبي هريرة : « لو كان الإيمان عند الثُّريَّا ، لذَهَبَ به رجلٌ من أبناء فارس ، حتى يتناوله » .

ومن أولى بذلك من سلمان !

سئل علي عن سلمان فقال : « أدرك العلم الأول ، والعلم الآخر ، بحرٌ لا يُدرَك قعره ، وهو منَّا أهل البيت »[٣] .

وقصة إسلام سابق الفرس وتحرِّيه وطَلَبه للحق ، آفاقٌ ومنارةٌ لا يُدرك شأوُها ، لسانُ حاله يقول :

تركْنا البحارَ الزاخراتِ وراءنا   فمن أين يدري الناسُ أنَّى توجَّهْنا

عن ابن عباس قال: حدثني سلمانُ الفارسيُّ قال: كنتُ رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهَانَ، مِن أهل قرية منها يُقال لها : «جيّ»[٤]، وكان أَبي دِهْقانَها، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه ، فلم يزل بي حبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبسُ الجارية ، فاجتهدتُ في المجوسية ، حتى كنت قاطِنَ النار الذي يُوقدها ، لا يتركها تخبو ساعةً . وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عظيمةٌ ، فشُغِلَ في بنيانٍ

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٥٩٨) والمشكاة (رقم ٦٢٢٥) .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٣) رجاله ثقات .

(٤) جَيّ ، بالفتح والتشديد: مدينة ناحية أصبهان القديمة .

له يومًا، فقال لي: يا بُنَّي، إني قد شُغِلْتُ في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطْلَعْها . وأمرني ببعض ما يُريد ، فخرجت ، ثم قال : لا تحتبس عليَّ ، فإنك إن احتبستَ عليَّ ، كنت أَهمَّ إلي من ضيعتي ، وشغلتَني عن كل شيءٍ من أمري . فخرجتُ أريد ضيعته ، فمررتُ بكنيسةٍ من كنائس النصارى ، فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يُصلّون ، وكنتُ لا أدري ما أَمرُ الناسِ بحبس أبي إياي في بيته ، فلمَّا مررتُ بهم ، وسمعتُ أصواتهم ، دخلتُ إليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتُهم أعجبتْني صلواتُهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحن عليه . فوالله ما تركتُهم حتى غربت الشمسُ ، وتركت ضيعةَ أَبي ولم آتِها ، فقلت لهم : أين أَصْلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . قال : ثم رجعتُ إلى أبي ، وقد بعثَ في طلبي وشغلتُه عن عمله كلِّه ، فلمَّا جئتُه قال : أيْ بُنَيَّ ، أين كنتَ ؟ أَلم أَكن عهدتُ إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبتِ ، مررتُ بناسٍ يُصلّون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمسُ . قال : أيْ بُني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينُك ودين آبائك خيرٌ منه . قلت : كلا والله ! إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيدًا ، ثم حبسني في بيته . قال : وبعثتُ إلى النصارى فقلت : إذا قَدِمَ عليكم ركبٌ من الشام تُجَّارٌ من النصارى ، فأَخبروني بهم . فقدم عليهم ركب من الشام . قال : فأَخبروني بهم ، فقلت : إذا قضوا حوائجهم، وأَرادوا الرجْعة، فأَخبروني. قال : ففعلوا . فألقيتُ الحديد من رِجلي ، ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام ، فلمَّا قدمتُها ، قلت : مَنْ أَفضلُ أهلِ هذا الدِّين ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة . فجئتُه ، فقلت : إني قد رغبتُ في هذا الدين، وأَحببتُ أن أَكون معك أخدمك في كنيستك، وأَتعلَّم منك ، وأُصلّي معك . قال : فادخل . فدخلتُ معه ، فكان رجلَ سوءٍ يأمُرهم بالصدقة ويُرغِّبهم فيها ، فإذا جمعُوا إليه منها شيئًا اكتنزه

لنفسه ، ولم يُعطه المساكين ، حتى جمع سبعَ قِلالٍ من ذهبٍ ووَرِقٍ ، فأبغضتُه بغضًا شديدًا ؛ لِمَا رأيتُه يصنع . ثم مات ، فاجتمعتْ إليه النصارى ليدفنوه ، فقلتُ لهم : إن هذا رجل سوءٍ ، يأمركم بالصدقة ، ويُرغِّبكم فيها ، فإذا جئتم بها ، كنزها لنفسه ، ولم يُعط المساكين . وأريتُهم موضعَ كنزه سبع قِلال مملوءةً ، فلمَّا رأوْها قالوا : والله لا ندفِنُه أبدًا . فصلبُوه ثم رَمَوْه بالحجارة ، ثم جاءوا برجلٍ جعلوه مكانه ، فما رأيتُ رجلًا - يعني لا يُصلِّي الخمس - أرى أنه أفْضَلُ منه ، أَزْهَد في الدنيا ، ولا أَرْغَب في الآخرة ، ولا أَدْأَب ليلًا ونهارًا ، ما أَعلمني أحببتُ شيئًا قطُّ قَبْلَه حُبَّه ، فلم أَزل معه حتى حضرتْه الوفاةُ ، فقلت : يا فلان ، قد حضرك ما ترى مِن أَمر الله ، وإني والله ما أَحببت شيئًا قطّ حُبَّك ، فماذا تأمرني وإلى مَنْ توصيني ؟ قال لي : يا بُنيَّ والله ما أَعلمه إلا رجلًا بالمَوْصِلِ ، فأْتِهِ ، فإنك ستجده على مثل حالي . فلمَّا مات وغُيِّبَ ، لحقت بالموصل ، فأتيتُ صاحبها ، فوجدتُه على مثل حاله من الاجتهاد والزهد ، فقلت له : إن فلانًا أَوصاني إليك أن آتيَك وأَكونَ معك . قال : فأقم أيْ بُنيَّ . فأَقمت عنده على مثْل أَمر صاحبه حتى حضرتْه الوفاة ، فقلت له : إن فلانًا أوصى بي إليك،وقد حضرك من أَمر الله ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ، وما تأْمرني به ؟ قال : والله ما أَعلم ، أي بُنّي ، إلا رجلًا بنصيبين . فلمَّا دفنّاه ، لحقت بالآخر ، فأَقمتُ عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت ، فأَوصى بي إلى رجلٍ من أَهل عَمُّورِيَّة بالروم، فأَتيتُه فوجدتُه على مثْل حالهم، واكتسبتُ حتى كان لي غُنيمة وبُقيرات . ثم احْتُضِرَ ، فكلَّمتُه ؛ إلى مَنْ يوصي بي ؟ قال : أيْ بُنَيَّ ، والله ما أَعلمُه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أَن تأتيه ، ولكن قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعث من الحرم ، مهاجرهُ بين حرَّتيْن إلى أرض سبخة ذاتِ نخلٍ ، وإنَّ فيه علامات لا تَخْفَى ، بينَ كتفيْه خاتَمُ النبوة ، يأكلُ الهدية ولا يأكلُ الصدقة ، فإن استطعت أن تخلُصَ إلى تلك

البلاد فافعل ، فإنه قد أَظلَّك زمانُه . فلمَّا واريناه ، أَقمتُ حتى مرَّ بي رجالٌ من تُجَّار العرب من كلب ، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتُهم إياها وحملوني ، حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ، ظلموني ، فباعوني عبدًا من رجلٍ يهودي بوادي القرى ، فوالله لقد رأيتُ النخل ، وطمعتُ أن يكون البلد الذي نَعَتَ لي صاحبي . وما حقَّت عندي حتى قَدِمَ رجلٌ من بني قُريظة وادي القرى ، فابتاعني مِن صاحبي ، فخرج بي حتى قَدِمْنا المدينةَ ، فوالله ما هو إلا أَن رأيتُها، فعرفتُ نَعْتَها. فأقمتُ في رِقِّي، وبعث الله نبيه ﷺ بمكة، لا يُذكر لي شيءٌ من أَمره مع ما أنا فيه من الرِّقِّ ، حتى قَدِمَ رسولُ الله ﷺ قُباء ، وأَنا أَعمل لِصاحبي في نخلة له ، فوالله إني لفيها إذ جاءه ابنُ عمٍّ له ، فقال : يا فلان ، قاتلَ الله بني قَيْلة ، والله إنهم الآن لفي قُباء ، مجتمعون على رجلٍ جاء من مكة ، يزعمون أَنه نبي . فوالله ما هو إلا أَن سمعتُها ، فأَخذتْني العُرَواء - يقول : الرِّعدة - حتى ظننتُ لأسقطنّ على صاحبي ، ونزلتُ أقول : ما هذا الخبر ؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمةً شديدة ، وقال : ما لك ولهذا ، أَقْبِلْ على عملك . فقلتُ : لا شيء ، إنما سمعتُ خبرًا ، فأَحببتُ أَن أَعلمه . فلمَّا أمسيتُ ، وكان عندي شيء مِن طعام ، فحملتُه وذهبتُ إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فقلتُ له : بلغني أَنك رجل صالح، وأن معك أَصحابًا لك غرباء ، وقد كان عندي شيءٌ من الصدقة فرأيتُكم أَحقَّ مَنْ بهذه البلاد، فهاك هذا، فَكُلْ منه. قال: فأمسك، وقال لأصحابه: « كُلُوا ». فقلت في نفسي : هذه خَلَّةٌ ممّا وَصَفَ لي صاحبي.ثم رجعتُ ، وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعتُ شيئًا كان عندي ثم جئتُه به فقلتُ : إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية . فأكل رسول الله ﷺ وأكل أَصحابُه ، فقلت : هذه خلتان . ثم جئتُ رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه ، فاستدرت أَنظر إلى

ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف، فلمَّا رآني استدبرتُه، عرفَ أني أَستثبتُ في شيءٍ وُصِفَ لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فانكببتُ عليه أقبِّله وأبكي ، فقال لي : « تحوَّلْ ». فتحوَّلتُ ، فقصصتُ عليه حديثي كما حدثتُك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمعَ ذلك أَصحابُه .

ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحُد . ثم قال رسول الله ﷺ: «كاتِبْ يا سلمان». فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أُحييها له بالفَقِير وبأربعين أوقية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أَعينوا أَخاكم ». فأعانوني بالنخل : الرَّجُلُ بثلاثين وَديَّة[1]، والرجُل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة، حتى اجتمعت ثلاثمائة وديَّة، فقال: «اذهب يا سلمان، ففقِّرْ لها ، فإذا فرغتَ فَأْتِني أَكون أَنا أضعُها بيدي ». ففقَّرتُ لها وأَعانني أَصحابي ، حتى إذا فرغت منها ، جئتُه وأَخبرته ، فخرج معي إليها نقرِّب له الوَدِيّ ، ويضعه بيده ، فوالذي نفسُ سلمانَ بيده ، ما ماتت منها وديَّةٌ واحدة ، فأدَّيتُ النخل ، وبقي عليَّ المال . فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضةِ دجاجةٍ من ذهب من بعض المغازي، فقال: «ما فَعَلَ الفارسيُّ المُكاتَب » ؟ فدُعِيتُ له ، فقال : « خُذها فأدِّ بها ما عليك ». قلت : وأين تقع هذه يارسول الله مما عليَّ ؟ قال : « خذها ، فإن الله سيؤدِّي بها عنك ». فأَخذتُها فوزنتُ لهم منها أربعين أوقية ، وأَوفيتُهم حقَّهم وعَتَقْتُ ، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حُرًّا ، ثم لم يَفُتْني معه مشهدٌ[2] .

---

(١) الوَدِيَّة : صغار الفَسِيل . الجمع : وَدِيّ .

(٢) رجاله ثقات ، وإسناده قوي ، فقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن هشام وابن سعد، وأخرجه أحمد وابن سعد، والجزري ، وابن هشام ، والطبراني في الكبير والخطيب في التاريخ .

وروى الحاكم عن زيد بن صوحان ، أن رجُلَيْن مِن أهل الكوفة كانا له صديقيْن ، فأتياه ليكلِّم لهما سلمان ، ليحدِّثهما حديثه ، فأقبلا معه ، فلقوا سلمان بالمدائن أميرًا ، وإذا هو على كرسيٍّ ، وإذا خُوصٌ بين يديه وهو يرتُقُه . قالا : فسلَّمْنا عليه وقعدْنا ، فقال له زيد : يا أبا عبد الله ، كيف كان بَدْءُ إسلامك؟ قال: كنت يتيمًا مِن رَامَهُرْمُز، وكان ابنُ دِهقانها يختلِف إلى معلّمٍ يعلّمه ، فلَزِمْتُه لأكون في كَنَفه ، وكان لي أخ أكبر مني ، وكان مستغنيًا بنفسه ، وكنتُ غلامًا ، وكان إذا قام مِن مجلسه تفرَّق من يحفِّظهم ، فإذا تفرَّقوا ، خرج فقنع رأسه بثوبه ، ثم صَعِد الجبلَ . كان يفعل ذلك غير مرَّةٍ متنكِّرًا ، فقلت له : إنك تفعل كذا وكذا ، فلم لا تذهبُ بي معك ؟ قال : أنت غلامٌ ، وأخاف أن يظهرَ منك شيء . قلتُ : لا تخف . قال : فإن في هذا الجبل قومًا في بِرطيل(١)، لهم عبادة وصلاح، يزعمون أنَّا عبدةُ النيران وعبدةُ الأوثان ، وأنَّا على غير دينهم . قلت : فاذهب بي معك إليهم . قال : لا أقدِرُ على ذلك حتى أستأمِرَهم ، أخافُ أن يظهر منك شيء ، فيُعلم ، أو فيُقتل القومُ ، فيكون هلاكُهم على يدي . قلت : لن يظهر مني ذلك ، فاستأمْرهم . فقال : غلامٌ عندي يتيم أحبّ أن يأتِيكم ويسمَعَ كلَامكم . قالوا : إن كنت تثق به . قال : أرجو . قال : فقال لي : ائتني في الساعة التي رأيتني أخرج فيها ، ولا يعلم بك أحد . فلمَّا كانت الساعة تبعتُه ، فصعِد الجبل ، فانتهينا إليهم . قال علي بن عاصم : أراه قال : وهم ستة أو سبعة . قال : وكأنَّ الروح قد خرج منهم مِن العبادة ، يصومون النهار ، ويقومون الليل ، ويأكلون عند السَّحَر ما وجدوا . فقعدْنا إليهم ، فتكلَّموا ، فحمدوا الله ، وذكروا مَنْ مضى مِن الأنبياء والرسل ، حتى خلصوا إلى ذكْر عيسى ، فقالوا : بعث الله عيسى رسولًا ، وسخَّر له ما

(١) القلَّة والصومعة ، وهي سريانية معربة .

كان يفعل من إحياء الموتى ، وخَلْقِ الطير ، وإبراء الأكْمَهِ والأبرص . وكَفَر به قوم ، وتبعه قوم ، وإنما كان عَبْدَ الله ورسولَهُ ابتَلَى به خلْقَه . وقالوا قبل ذلك : يا غلامُ، إن لك لَرَبًّا ، وإن لك لَمَعادًا ، وإن بينَ يديك جنَّةً ونارًا إليها تصيرُ ، وإنَّ هؤلاء الذين يعبدون النيرانَ ، أهلُ كفرٍ وضلالة ، ليسوا على دين. فلما حَضَرَت الساعة التي ينصرف فيها المُعلِّم ، انصرفتُ معه ، ثم غدونا إليهم، فقالوا مثل ذلك وأحسن، ولزمتُهم. فقالوا لي: يا سلمان، إنك غلام، وإنك لا تستطيع أن تصنع كما نصنع، فصلِّ ونَمْ وكُلْ واشربْ . فاطّلع الملكُ على صنيع ابنه ، فركب في الخيل حتى أتاهم في برطيلهم فقال: يا هؤلاء، قد جاورتموني، فأحسنتُ جوارَكم، ولم تَرَوْا مني سوءًا ، فعمدتُم إلى ابني ، فأفسدتموه عليَّ ، قد أَجَّلْتكم ثلاثًا ، فإن قدرت بعدها عليكم ، أحرقتُ عليكم برطيلكم . قالوا : نعم . وكفَّ ابنه عن إتيانهم ، فقلت له : اتَّقِ الله ، فإنك تعرف أن هذا الدينَ دينُ الله ، وأن أباك على غيرِ دينٍ ، فلا تَبعْ آخرتك بدُنْيا غيرك . قال : هو كما تقول ، وإنما أتخلَّفُ عن القوم بُقْيًا عليهم . قال : فأتيتهم في اليوم الذي أرادوا أن يرتحِلوا ، فقالوا : يا سلمان ، قد كُنَّا نَحْذَر ما رأيت ، فاتَّقِ الله ، واعلم أن الدين ما أوصيناك به ، فلا يخدعنَّك أحدٌ عن دينك . قلت : ما أنا بمفارقكم . قالوا : فخُذ شيئًا تأكله ؛ فإنك لا تستطيع ما نستطيع نحن . ففعلتُ ، ولقيتُ أخي ، فعرضتُ عليه بأني أمشي معهم ، فرزقَ الله السلامة حتى قدمنا المَوْصِلَ ، فأتينا بيعةً ، فلمَّا دخلوا أحفوا بهم وقالوا : أينَ كنتم ؟ قالوا : كنا في بلادٍ لا يذكرون الله تعالى ، بها عَبَدَة النيران ، فطُردنا ، فقدمنا عليكم . فلمَّا كان بعدُ ، قالوا : يا سلمان ، إن هاهنا قومًا في هذه الجبال هم أهلُ دين ، وإنا نُريدُ لقاءهم ، فكن أنتَ هاهنا . قلت : ما أنا بمفارقكم . فخرجوا وأنا معهم ، فأصبحوا بين جبال ، وإذا ماءٌ كثير وخبزٌ كثير ، وإذا صخرة ، فقعدنا عندها ، فلمَّا طلعت الشمسُ ، خرجوا

مِن بين تلك الجبال ، يخرج رجُلٌ رجلٌ مِن مكانه ، كأن الأرواحَ قد انتُزِعَتْ منهم ، حتى كثُروا فرحَّبوا بهم وحفّوا ، وقالوا : أين كنتم ؟ قالوا : كنا في بلاد فيها عَبَدَةُ نيران . فقالوا : ما هذا الغلامُ ؟ وطفقوا يُثنون عليَّ ، وقالوا : صَحِبَنا من تلك البلاد . فوالله إنهم لكذلك إذ طلعَ عليهم رجل من كهف، فجاء فسلم، فحفُّوا به، وعظَّمه أصحابي، وقال: أينَ كنتم ؟ فأخبروه ، فقال : ما هذا الغلامُ ؟ فأثنوا عليَّ . فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر رسله ، وذكر مولدَ عيسى ابن مريم ، وأنه وُلِد بغير ذكر ، فبعثه الله رسولًا ، وأجرى على يديه إحياء الموتى ، وأنه يخلُق مِن الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه ، فيكون طيرًا بإذن الله ، وأنزل عليه الإنجيل ، وعلّمه التوراة ، وبعثه رسولًا إلى بني إسرائيل ، فكفر به قوم ، وآمن به قوم . إلى أن قال : فالزموا ما جاء به عيسى ، ولا تُخالِفوا ، فيُخالَف بكم . ثم قال : من أراد أن يأخذ مِن هذا شيئًا ، فليأخُذ . فجعل الرجل يقومُ فيأخذ الجرَّة مِن الماء والطعام والشيء ، فقام إليه أصحابي الذين جئتُ معهم ، فسلَّموا عليه ، وعظَّموه ، وقال لهم : الزموا هذا الدين وإياكم أن تفرَّقوا ، واستوصُوا بهذا الغلام خيرًا. وقال لي: يا غلام، هذا دينُ الله الذي تسمعني أقوله ، وما سواه الكفر . قلت : ما أنا بمفارقك . قال : إنك لا تستطيعُ أن تكون معي ، إني ما أخرج من كهفي هذا إلا كُلَّ يومِ أحد . قلت : ما أنا بمفارقك . قال له أصحابه : يا أبا فلان ، إن هذا لَغلامٌ ويُخاف عليه . قال لي : أنت أعلم . قلتُ : فإني لا أفارقك . فبكى أصحابي لفراقي ، فقال : يا غلامُ ، خُذ من هذا الطعام ما يكفيك للأحد الآخر ، وخذ من الماء ما تكتفي به . ففعلتُه ، فما رأيته نائمًا ولا طاعمًا إلا راكعًا وساجدًا إلى الأحد الآخر . فلمَّا أصبحْنا قال : خذ جرَّتك هذه وانطلق . فخرجت أتَّبعه حتى انتهينا إلى الصخرة ، وإذا هم قد خرجوا مِن تلك الجبال ينتظرون خروجه ، فَعَدَوْا ، وعاد في حديثه وقال : الزموا هذا الدينَ ، ولا تفرَّقوا ،

واذكروا الله ، واعلموا أن عيسى كان عبدًا لله أنعم عليه . فقالوا : كيف وجدتَ هذا الغلام ؟ فأثنى عليَّ . وإذا خبز كثير وماء كثير ، فأخذوا ما يكفيهم وفعلتُ . فتفرَّقوا في تلك الجبال ، ورجعْنا إلى الكهف ، فلَبِثْنا ما شاء الله، يخرج كُلَّ أحدٍ ويحفُون به. فخرج يومًا فحمد الله تعالى ووعظَهم، ثم قال : يا هؤلاء ، إنه قد كَبَرَ سِنِّي ، ورقَّ عَظْمي ، واقترب أَجَلِي، وإنه لا عهدَ لي بهذا البيت مُذْ كذا وكذا ، ولا بُدَّ من إتيانه ، فاستوصوا بهذا الغلام خيرًا ، فإني رأيتُه لا بأس به . فجزع القومُ ، وقالوا : أنت كبير ، وأنت وحدَك ، فلا نأمن أن يُصيبك الشيء ولسنا عندك ، ما أَحْوَجَ ما كنا إليك . قال : لا تُراجعوني . فقلت : ما أنا بمفارقك . قال : يا سلمان ، قد رأيتَ حالي وما كنت عليه، وليس هذا كذلك، أنا أمشي أصوم النهار، وأقوم الليل ولا أستطيع أن أحمل معي زادًا ولا غيره ، وأنت لا تقدرُ على هذا . قلتُ : ما أنا بمفارقك . قال : أنت أعلم . وبكوا وودَّعوه ، واتبعتُه يذكر الله ولا يلتفتُ ، ولا يقفُ على شيءٍ ، حتى إذا أمسينا قال : صَلِّ أنت ، ونَمْ ، وقُم ، وكُلْ ، واشربْ ، ثم قام يُصلِّي حتى إذا انتهينا إلى بيت المقدس ، وكان لا يرفع طرفَه إلى السماء ، فإذا على باب المسجد مُقعد ، فقال : يا عبد الله ، قد ترى حالي ، فتصدَّقْ عليَّ بشيءٍ. فلم يلتفت إليه ، ودخل المسجد ، فجعل يتبع أمكنةً يُصلي فيها ، ثم قال : يا سلمان ، لم أَنَمْ مُذ كذا وكذا ، فإن أنت جعلت أن توقظني إذا بلغ الظِّلُّ مكان كذا وكذا ، نمتُ ، فإني أحب أن أنام في هذا المسجد ، وإلا لم أَنَمْ . قلت : فإني أفعل . فنام . فقلت في نفسي : هذا لم ينم منذ كذا وكذا ، لأدعنَّه ينام . وكان لمَّا يمشي وأنا معه ، يُقبل عليَّ فيعظني ويخبرني أنَّ لي ربًّا ، وأن بين يديَّ جنةً ونارًا وحسابًا ، ويُذكرني نحو ما كان يذكِّر القوم يوم الأحد ، حتى قال : يا سلمان ، إن الله سوف يبعث رسولًا اسمُه أحمد يخرج بِتهامة – وكان رجلًا أعجميًّا لا يُحسن أن يقول « محمد » –

علامته أنه يأكُلُ الهدية ، ولا يأكُلُ الصدقة ، بينَ كتفيه خاتم النبوة ، وهذا زمانُه الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأمَّا أنا فإني شيخٌ كبير ، ولا أُحسبني أدركه ، فإن أنت أَدركتَهُ ، فصدِّقْه واتَّبعْه . قلت : وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه . قال : نعم ، فإنَّ رضا الرحمنِ فيما قال . فلم يمض إلا يسير حتى استيقظ فزعًا يذكُر الله تعالى، فقال : يا سلمان ، مضى الفيْءُ من هذا المكان ولم أَذكر الله ، أين ما كنتَ جعلتَ على نَفْسِك ، قلت : لأنك لم تَنَمْ منذ كذا وكذا ، فأحببتُ أَن تستوفيَ من النوم . فحمد الله وقام وخرج ، فتبعتُه فمرَّ بالمُقْعَدِ ، فقال : يا عَبدَ الله ، دخلتَ وسألتُك فلم تُعطني ، وخرجتَ فسألتُك فلم تُعطني . فقام ينظر هل يرى أَحدًا ، فلم يَرَ ، فدنا منه ، وقال له : ناوِلْني يَدك . فناوله ، فقال : باسم الله . فقام كأنه نشطَ من عقالٍ ، صحيحًا لا عيبَ فيه . فانطلق ذاهبًا ، فكان لا يلوي على أحدٍ ، ولا يقومُ عليه . فقال لي المُقعد : يا غلام ، احمِلْ عليَّ ثيابي حتى أنطلق وأُبشِّر أهلي . فحملت عليه ثيابَهُ ، وانطلق لا يلوي عليَّ ، فخرجتُ في أَثره أَطلبه ، فكلَّما سألتُ عنه ، قالوا : أمامك . حتى لقيني ركْب من كلب فسألتُهم، فلما سمعوا لغتي أناخ رجلٌ منهم بعيره، فجعلني خلفه حتى أَتَوْا بي بلادهم ، فباعوني ، واشترتْني امرأةٌ من الأنصار فجعلتني في حائطٍ لها . وقدم رسول الله ﷺ فأُخْبِرتُ به ، فأخذتُ شيئًا مِن تمر حائطي وأتيتُه فوجدتُ عنده ناسًا ، وإذا أبو بكر أقربُ الناس إليه ، فوضعتُه بين يديه ، فقال : ما هذا ؟ قلتُ : صدقة . فقال : « كُلُوا » . ولم يأكل . ثم لبثتُ ما شاء الله ، ثم أَخذتُ مثل ذلك وأَتيتُه به ، فوجدتُ عنده ناسًا ، فوضعتُه بين يديه ، فقال : ما هذا ؟ قلت : هدية . فقال : « باسمِ الله » . وأَكَلَ ، وأكلَ القومُ . فقلت في نفسي : هذه من آياته .

كان صاحبي رجلًا أَعجميا ، لم يُحسن أَن يقول:تهامة ، فقال : تهمة . قال : فدُرتُ مِن خلفه ، ففطن لي فأَرخى ثوبَهُ ، فإذا الخاتم في

ناحية كتفه الأيسر ، فتبيَّنْتُه ، ثم درتُ حتى جلستُ بينَ يديه ، فقلتُ : أشهد أَن لا إله إلا الله ، وأَنك رسولُ الله . قال : « من أَنتَ ؟ ». قلت : مملوكٌ . وحدَّثته حديثي ، وحديث الذي كنت معه ، وما أَمرني به . قال : « لمن أنت ؟ » . قلت : لامرأةٍ من الأنصار جعلتْني في حائطٍ لها . قال : « يا أبا بكر » . قال : لبَّيك . قال : « اشتَرِهِ » . فاشتراني أبو بكر ، فأعتقني ، فلبثتُ ما شاء الله ، ثم أَتيتُه ، فسلَّمتُ عليه ، وقعدتُ بين يديه فقلت : يا رسول الله ، ما تقول في دين النصارى ؟ قال : « لا خَيْرَ فيهم ولا في دِينِهِمْ». فدَخَلَنِي أمرٌ عظيم، وقلت في نفسي: الذي أَقام المُقْعَد، لا خير في هؤلاء ولا في دينهم !! فانصرفتُ وفي نفسي ما شاء الله، وأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ **ذلك بأَنَّ منهم قِسِّيسينَ ورُهْبَانًا وأَنَّهم لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٨٢]. فقال النبيُّ ﷺ: «عليَّ بسلمان». فأَتاني الرسول وأَنا خائف ، فجئته فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **ذلك بأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسينَ** ﴾ » . ثم قال : « يا سلمانُ ، إنَّ الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى ، إنما كانُوا مسلمين » . فقلتُ : والذي بعثك بالحق ، لهو الذي أَمرني باتِّباعك ، فقلت له : وإن أَمرني بترك دينك وما أَنتَ عليه ؟ قال : نعم ، فاتركه فإنه الحق[1] .

قال الذهبي : هذا حديث جيد الإسناد ، حكمَ الحاكمُ بصحته .

لَمَّا قُضيتْ في القِدَم سلامةُ سلمان ، أقبل يُناظر أباه ، في دينٍ قد أباه ، فلم يعرف أبوه جوابا إلا القيد ، وهذا الجواب المرذول ، قديم من يوم ﴿ **حرِّقوه** ﴾، فنزل به ضيف ﴿ **ولنبلونَّكم** ﴾، فنال بإكرامه مرتبةَ

(١) أخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح عالٍ ولم يخرجاه . وأخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ، وهو عند الذهبي في تاريخ الإسلام وقال : إسناده جيد . سير أعلام النبلاء ١ / ٥٠٦ - ٥١١ ، ٥٢٥ - ٥٣٣ .

« سلمان منّا »، سمع أن ركْبًا على نيَّة السَّفَر ، فسرق نفسه من حِرز أبيه ، ولا قطع، فوقف نفسه على خدمة الأدِلَّاء ، وقوفَ الأذِلَّاء ، فلمَّا أحسّ الرُّهبان بانقطاع دولتهم ، سلموا إليه أعلام الإعلام على علامات نبيِّنا ، وقالوا : إن زمنه قد أظَلّ ، فاحْذَر أن تَضِلّ ، وإنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرضٍ بين حرَّتين ، فلو رأيتموه قد فلى الفلا ، والدليل شَوْقُه ، وخلَّى الوطن خلا ، يُزعجه تَوْقُه .

وأبغضتُ فيك النَّخْلَ والنخلُ يانعٌ ... وأعجبني من حَبِّك الطَّلْحُ والضّالُ
وأهوى لجراك السماوةَ والغَضَا ... ولو أنَّ ضيفيْهِ وُشاةٌ وعُذَّالُ

رحل مع رفقةٍ لم يرفُقوا ﴿ **فشروه بثمنٍ بخسٍ** ﴾ فابتاعه يهودي بالمدينة ، فلمَّا رأى الحرَّتيْن ، توقد حرُّ شوقه ، وما علمَ المنزل ، بوجْدِ النازل .

أيدري الرَّبْعُ أيّ دمٍ أراقا ... وأي قلوبِ هذا الرَّكْبِ شاقَى
لنا ولأهْلِهِ أبدًا قلوبٌ ... تُلاقي في جسومٍ ما تَلاقَى

فبينا هو يُكابِدُ ساعاتِ الانتظار ، قَدِم البشير ، بقدوم البشير ، وسلمان في رأس نخلة ، فكاد القَلَق يُلقيه ، لولا أنّ الحزْم أمسكه ، كما جرى يوم ﴿ **إن كادت لتبدي به** ﴾ ، ثم عجل النزول ، ليلقَى رَكْبَ السَّيَّارة .

خليليَّ من نجدٍ قِفا بي على الرُّبَى ... فقد هبَّ من تلك الرُّسومِ نسيمُ

فصاح به المالك : ما لك ولهذا ؟ انصرف إلى شغلك . فأجاب لسان وجْدِه :

* كيف انصرافي ولي في داركمْ شُغُلُ *

فأخَذَ يضربه ، فأخذ لسان حاله يترنَّم – لو سمعَ الأطروش –:

خليليَّ لا والله ما أنا منكما ... إذا عَلَمٌ مِنْ آلِ ليلى بدا ليا

فلما لقي الرسول ، عرضَ نُسخة الرهبان ، بكتاب الأصْل ، فوافق ووافق . يا محمد ، أنت تريد أبا طالب ، ونحن نريد سلمان . أبو طالب إذا

سُئل عن اسمه ، قال : عبد مناف ، وإذا انتسب افتخر بالآباء ، وإذا ذُكِرت الأموالُ عَدَّ الإبل . وسلمان إذا سئل عن اسمه ، قال : عبد الله . وعن نسبه ، قال : ابن الإسلام . وعن لباسه ، قال : التواضع . وعن طعامه ، قال : الجوع. وعن شرابه ، قال : الدموع . وعن وساده ، قال : السهر . وعن فخره ، قال : « سلمان منا » . وعن قصْده ، قال : ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ .

إن بيتـًا أنت ساكِنُـه ... غيرُ محتاجٍ إلى السُّـرُجِ
وعليـلًا أنت زائـرهُ ... قـد أتاه الله بالفَـرَجِ
وَجْهُك المأمولُ حُجَّتُنا ... يومَ يَأتي الناس بالحُجَجِ

وأبو ذرّ ، ثالث الربَّانيِّين على الطريق :

« عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما بلغ أبا ذرٍّ مبْعثُ النبي ﷺ بمكة ، قال لأخيه أُنيس : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي عِلْم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ، ثم ائتني ، فانطلق أنيس حتى قدم مكَّة وسَمِع من قوله ، ثم رجَع إلى أبي ذر ، فقال : رأيته يأمُر بمكارم الأخلاق ، وسمعته يقول كلامًا ما هو بالشعر . فقال أبو ذرّ : ما شفيتني فيما أردت . فَتَزوَّد أبو ذرّ وحَمَل شنَّةً له فيها ماء ، حتى قدِم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس النبيّ ﷺ ، وهو لا يعرفه ، وكره أنْ يسأل عنه ، حتى أدركه الليل فاضطجع ، فرآه علي بن أبي طالب فعرف أنه غريب ، ودعاه إلى منزله فتبعه ، فلم يسأل واحدٌ منهما صاحبَه عن شيءٍ حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليوم ولا يرى النبيّ ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمرَّ به علِيٌّ فقال : ما آن للرجل أنْ يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه ، ولا يسأل واحدٌ منهما صاحبَه عن شيءٍ ، حتى إذا كان يوم الثالث فَعَل مثل ذلك ، فأقامه علي معه ، ثم قال : ألا تحدِّثني ما الذي أقْدمك ؟ قال : إنْ أعطيتني عهدًا وميثاقًا لَتُرشدني فعلتُ . ففعل ، فأخبره ، فقال : فإنه حقٌّ وهو رسول الله ﷺ ،

فإذا أصبحت فاتبعني ، فإن رأيتُ شيئًا أخاف عليك ، قمتُ كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي . ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه »[١] .

وفي حديث أبي ذرّ ، الذي رواه مسلم من طريق عبد الله بن الصامت الغفاري - ابن أخي أبي ذرّ -: « قد صلّيت يا ابن أخي قبل أنْ ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين . قلتُ : لمن ؟ قال:لله . قلتُ : فأين توجَّهُ ؟ قال : أتوجَّهُ حيث يوجِّهني ربِّي ، أصلّي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ، أُلقيت كأني خِفاء[٢] . حتى تعلوني الشمس . فقال أُنَيْس : إن لي حاجة بمكة فاكْفِني . فانطلق أنيس حتى أتى مكة ، فراث[٣] عليّ ، ثم جاء فقلتُ : ما صنعت ؟ قال : لقيتُ رجلًا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرْسلَه . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس : لقد سمعت قوْل الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء[٤] الشعر ، فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون . قال : قلت : فاكْفِني حتى أذهب فأنظُر . قال : فأتيتُ مكة فتضعَّفْتُ رجلًا منهم ، فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابئ ؟ فأشار إليّ فقال : الصابئ. فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرَةٍ[٥] وعَظْمٍ ، حتى خررتُ مغشيًّا عليّ . قال : فارتفعتُ حين ارتفعتُ ، كأني على نُصُب أحمر . قال : فأتيتُ زمزم ، فغسلتُ عني الدماء وشربتُ من مائها ، ولقد لبثتُ يا ابن أخي

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحه واللفظ له .

(٢) هو الكساء ، وجمعه أخفية .

(٣) أي : أبطأ عليّ .

(٤) طرقه وأنواعه .

(٥) المَدَر : هو الطين المتلبِّد .

ثلاثين بين ليلة ويوم ، ما كان لي طعام إلَّا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسَّرتْ عُكَنُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سَخْفةَ جوع . قال : فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحِيان[1] ، إذ ضُرِب على أسمِختهم ، فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتان منهم تدعوان إسافًا ونائلة . قال : فأتتا عليّ في طوافهما ، فقلتُ : أنكحا أحدَهما الأخرى . قال : فما تناهتا عن قولهما . قال : فأتتا عليّ ، فقلت : هَنٌ مثل الخشبة ، غير أني لا أكْني . فانطلقتا تُولولان وتقولان : لو كان ها هنا أحد من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وهما هابطان ، قال : « ما لكما ؟» قالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قال : « ما قال لكما ؟ » قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفَمَّ . وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت هو وصاحبُه ، ثم صلَّى ، فلما قضى صلاته ؛ قال أبو ذر : فكنتُ أول من حيَّاه تحيَّة الإسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : « وعليك ورحمة الله » . ثم قال : « من أنت ؟ » قال : قلتُ : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته . فقلت في نفسي: كره أن انتميتُ إلى غفار . فذهبتُ آخُذ بيده ، فَقَدَعَني صاحبُه - وكان أعلم به مني - ثم رفع رأسه ، ثم قال : « متى كنت ها هنا ؟ » قال : قلت : قد كنتُ ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم . قال : « فمن كان يطعمك ؟ » قال : قلت : ما كان لي طعام إلَّا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسَّرت عُكَن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة جوع ، قال : « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعم » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ائذن لي في طعامه الليلة . فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقتُ معهما ، ففتح أبو بكر بابًا فجعل يقْبض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكَلْته بها » .

(١) الإضحيان : هي المضيئة . ليلة أضحيان ، وأضحيانه وضحياء ، ويوم ضحيان .

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط : أول مَن هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبيّ ﷺ :

لله درُّها ، أبوها شيطان من شياطين الإنس ، وهي رضي الله عنها كانت ممَّن أسلم قديمًا وبايعتْ وخرجت إلى المدينة مُهاجرة تمشي ، فتبعها أخواها عمارة والوليد ليردَّاها ، فلم ترجع .

قال ابن سعد : « هي أول مَن هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ، ولا نَعْلم قرشيَّة خرجتْ من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلَّا أمَّ كلثوم . خرجتْ من مكة وحدها ، وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمتْ في الهدنة ، فخرج في أثرها أخواها ، فقدما ثاني يوم قدومها ، فقالا : يا محمد ، شرطنا أوْف به . فقالت أمّ كلثوم : يا رسول الله - ﷺ - أنا امرأة ، وحال النساء إلى الضعف ، فأخشى أن يفتنوني في ديني ولا صَبْر لي . فنقض الله العهد في النساء ، وأنزل آية الامتحان ، وحكم في ذلك بحُكم رضوا به كلُّهم ، فامتحنها رسول الله ﷺ ، والنساءَ بعدها : « ما أخرجكنّ إلَّا حبُّ الله ورسوله والإسلام ، لا حبَّ زوج ولا مال ؟ » فإذا قلن ذلك لم يُرددن .

هاجرت رضي الله عنها ولم يكن لها زوج بمكة ، فتزوجها زيد ثم الزبير ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، ثم عمرو بن العاص فماتت عنده »(١).

فانظر كيف تصنع العقيدة وطلَبُ الحقّ بامرأةٍ عظيمة ، كان والدها شيطان قريش ، فتخرج ماشية إلى رسول الله ﷺ ... والله إن هذا الموقف تعجز عن تصويره الكلمات ... امرأة ليس لها زوج ، تعاني حرَّ هجير جبال مكة الكالح ووحشتها ، تفرُّ بدينها ، ويلحقها أخواها فلا ترجع ، وينزل الله رحمتها من السماء .

أمّا الثباتُ على الحق : فآسِية زوْج فرعون مثالٌ عالٍ وغالٍ لكلِّ جِيل :

فالأنموذج المثالي يقصُّه الله علينا في القرآن الكريم : ﴿ **وضَرَب الله مثلا**

(١) الطبقات لابن سعد ٨ / ٢٣٠ .

للذين آمنوا امرأةَ فرعون إذ قالتْ ربِّ ابن لي عندك بيتًا في الجنَّة ونجِّني من فِرعون وعَملِه ونجِّني مِنَ القومِ الظالمين ﴾ [التحريم : ١١] .

قال الحافظ : ومن فضائل آسية امرأة فرعون : اختارت القَتْل على المُلْك ، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه .

وروى ابن جرير بسنده ، عن سليمان التيمي : كانت امرأة فرعون تُعذَّب في الشمس ، فإذا انصرفَ عنها أظلَّتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتَها في الجنة .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمُل من النساء إلّا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإنَّ فضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . رواه البخاري .

قال ابن جرير : كانت امرأة فرعون تسأل : مَن غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون . فتقول : آمنت بربِّ موسى وهارون . فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضتْ على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي . فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء ، فأبصرت بيتها في الجنة ، فمضت على قولها ، وانتُزعت روحُها .

انظر رحمك الله ، ها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون ، عن طَلَب النجاة وحدها ، وقد تبرَّأت من قصر فرعون ، طالبة إلى ربِّها بيتًا في الجنَّة . وتبرَّأت من صِلتها بفرعون ، فسألت ربَّها النجاة منه . وتبرَّأت من عمله ؛ مخافة أن يلحقَها من عمله شيءٌ ، وهي ألصق الناس به . وتبرَّأت من قوم فرعون ، وهي تعيش بينهم .

موقف آسية ، مَثَلٌ للاستعلاء على عَرَض الحياة الدنيا في أزهى صوره ؛ فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأةٌ ما تشتهي ، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ، ولم تُعْرِض عن هذا العَرَض فحسب ، بل اعْتبرته شرًّا ودَنَسًا وبلاءً ؛ تستعيذ بالله منه ، وتتفلَّت

من عقابيله ، وتطْلُب النجاة منه ، وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قويَّة ، وهذا فَضْلٌ آخر عظيم ؛ فالمرأة أشدُّ شعورًا وحساسيةً بوطأة المجتمع وتصوُّراته ، ولكنَّ هـذه المـرأة وحـدهـا ، في وَسَط ضَغْط المجتمع،وضغْط القصـر ، وضَغْط المِلك ، وضغْط الحاشية ، والمقام الملوكي ، في وَسَط هذا كلِّه ، رفعتْ رأسها إلى السماء وحدها في خِضمّ هذا الكفر الطاغي ، وهي نموذج عالٍ في التجرُّد لله من كل هذه المؤثِّرات ، وكل هذه الأواصر ، وكلِّ هذه المعوِّقات ، وكلِّ هذه الهواتف ؛ ومنْ ثمَّ استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد ، الذي تتردَّد كلماته في جَنَبات الكون ، وهي تتنزَّل من الملأ الأعلى .

وإفراد امراة فرعون بالذِّكْر مع مريم ابنة عمران ، يدلُّ على المكانة العالية ، التي جعلتها قرينة مريم في الذِّكْر ، بسبب ملابسات حياتها .

ذو النُّوريْن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه : قمَّةٌ شامخةٌ في الثَّبات على الحقِّ حتى القَتْل :

لله درُّه وهو الشيخُ الطاعنُ في السنِّ ، يريده المنافقون على خلْع قميص ألبسه الله إيَّاه ، فلا ينزعُه ، ويصبر تنفيذًا لوصيَّة رسول الله ﷺ ، ويُضَحِّي بنفسه ثمنًا لثباته حتى يُسال دمُه الطاهر . فلله دَرُّ أُمٍّ أَوْحَدَتْ به !

ابن المسيِّب سيِّدُ التابعين ؛ يصْدع بالحقِّ ، ويُضْرب ، ويُطاف به في الطرقات :

وهذا سيِّد التابعين يصْدَع بالحق ولا يأبه ، ويُطاف به ويُضرب . فـلله درُّه من سيد !

ومحمدُ بن أسْلَم الطوسيّ ، أمْرُه سماوي :

« قال محمد بن قاسم : سمعتُ إسحاق بن راهويْه ذات يوم ، روى في ترجيع[1] الأذان أحاديث كثيرة ، ثم روى حديث عبد الله بن زيد

(١) الترجيع : هو العَوْد إلى الشهادتين مرتين مرتين برفع الصوت ، بعد قولها مرتين مرتين بخْفض الصوت ، وهو ثابت في حديث أبي محذورة عند مسلم ، وأحمد ، وأبي داود ، والدارقطني ، والبيهقي ، وابن حبان ، وابن خزيمة .

الأنصاري[(١)] ، ثم قال : يا قوم ، قد حدَّثتُكم بهذه الأحاديث في الترجيع ، وليس في غير الترجيع إلَّا حديث واحد : حديث عبد الله بن زيد ، وقد أمَرَ محمدُ بن أسلم الناسَ بالترجيع ، فقلتم : هذا مبتدع ، عامة أهل بلده بالكورة غوغاء . ثم قال : احذروا الغوغاء ، فإنهم قتلة الأنبياء . فلما كان الليل ، دخلت عليه ، فقلت : يا أبا يعقوب ، حدَّثتَ بهذه الأحاديث بالترجيع ، فما لك لا تأمر مؤذِّنك بالترجيع ؟ فقال : يا مغفَّل ، ألم تسمع ما قُلت في الغوغاء ، إنما أخافُ الغوغاء ، فأمَّا أمْر محمد بن أسلم ، فإنه سماوي ، كلما أَخَذ في شيء تمَّ له ، ونحن عبيدُ بطوننا ، لا يتمُّ لنا أمْرٌ نأخُذ فيه ، نحن عند محمد بن أسلم مثل السُّرَّاق » .

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل : أعزَّ الله به الإسلام يوم الفتنة :

لولا سياطٌ على ظهْر ابن حنبل ، ما كان إمامَ أهل السُّنَّة ؛ ثَبَتَ ابن حنبل في محنة خَلْق القرآن ، فثبَّت الله بثباته الأمة بأسْرها .. ويذكُر التاريخ بأحْرفٍ من نور وشذا عطر أرقّ من الورود هذا الموقف الفذّ لشيخ الإسلام الفذّ حين تزلزلتْ وتضعضعت الجبالُ الرواسي .

وشيخه أبو نعيم الفَضْل بن دُكَيْن ، جَبَل شامخ :

يقول أبو نعيم للوالي - لمَّا امتحنه في خلق القرآن -: « أدركتُ الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ ؛ الأعمش فَمَن دونه،يقولون : القرآن كلام الله . وعنقي أهون من زِرِّي هذا . فقام إليه أحمد بن يونس ، فقبَّل رأسه - وكان بينهما شحناء - وقال : جزاك الله من شيخ خيرًا »[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، وابن ماجه ، والبيهقي ، وإسناده صحيح ، وصحَّحه ابن حبان وابن خزيمة والبخاري فيما نقله عنه الترمذي في العلل الكبير .

(٢) السير ١٠ / ١٤٩ ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي صـ ٤٨١ .

ونعيم بن حماد أوْصى أن يُدفن في قيوده ، وقال : إني مخاصِم :

« أُخِذَ رحمه الله في أيام المحنة سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائتين ، وألقوه في السجن بسامراء فلم يزل محبوسًا بها ، حتى مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومائتين ، فجُرَّ بأقياده وأُلقي في حفرة ، ولم يُكفن ولم يُصلَّ عليه ، وكان رحمه الله أوْصى أن يُدفن في قيوده وقال : إني مخاصم »[1] .

وشيخ الإسلام الأنصاري ، طوْدٌ أشمُّ في السُّنة :

« كان شيخ الإسلام الهروي طودًا راسيًا في السُّنّة ، لا يتزلزل ولا يلين ، وقد امْتُحن مرات ، وأُوذِيَ ، ونُفي من بلده .

قال ابن طاهر : سمعته يقول : عُرِضْتُ على السيف خمس مرات ، لا يُقال لي : ارجع عن مذهبك . لكن يقال لي : اسكت عمن خالفك . فأقول : لا أسكت »[2] .

أولئك آبائي فَجِئْني بمثلهم إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المجامعُ

* * *

انتهى المُجلَّد الرابع ويليه المُجلَّد الخامس

إن شاء الله تعالى

---

(١) السير ١٠ / ٦١٠ ، ومناقب الإمام أحمد صـ ٤٨٣ .

(٢) السير ١٨ / ٥٠٩ .